

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

تمهيد :

عاش أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار بين سنتي ٥٩٥/١١٩٩ و ٦٥٨/١٢٦٠ ، أي ثلاثاً وستين سنة هجرية (إحدى وستين سنة ميلادية) ، وهو عمر طويل نسبياً ، وأتيحت له الفرصة ليصيب من العلم أوفر نصيب سمح به زمانه ، ووصل إلى الوظائف الكبرى في عتفوان شبابه ، وظل بعد ذلك صدرّاً في بلده بلنسية وفي كل مكان حل فيه ، وأوتي من الذكاء وبعد الفهم وقوة الذاكرة وبلاغة اللسان ما كان كفيلاً بأن يهيئ له حياة سعيدة ، أو مستقرة على أقل تقدير ، ولكنه خُلِقَ ذا طبع قلق ونفس حائرة وقلب ذى طماح بعيد المطارح ، فلم يقر له حال منذ أيقع إلى أن مات ، ولم يسعد من حياته الطويلة إلا بفترات قصار معظمها وهو دون الثلاثين ، ثم ما زالت الخطوب تنزل بساحته وما زال يعينها على نفسه حتى تكدرت حياته ما بقي له من أيام العمر بعد ذلك ، وانتهى به الأمر إلى مصرع فاجع على يد من خدمه وملاً الصفحات بمدحجه ؛ فلو أننا بحثنا عن مثال لرجل لم ترحمه أيامه ولا رحمته نفسه لما كان هذا المثال خيراً من ابن الأبار .

ولكن الأجيال التالية لعصر ابن الأبار كانت أرفق به من أيامه ومن نفسه ، فتعاقب الناس على إنصافه وتكريمه والإشادة بذكوره ، فترجم له أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني (ت ٧١٤/١٣١٤ - ١٣١٥) في « عنوان الدراية » (ص ١٨٣-١٨٧) وابن خلدون في تاريخه (٦/٢٨٣-

(٢٨٥) ، والمقرى في «نفح الطيب» (٣/٣٤٦-٣٤٧) و «أزهار الرياض» (٣/٢٠٥) ، وأبو علي محمد بن إبراهيم اللؤلؤي الزركشي في «تاريخ الدولتين» (ص ٢٠ - ٢٧) ، ومحمد بن شاكر الكتبي في «فوات الوفيات» (بولاق، ٢٨٢/٢-٢٨٤) ، وذكر حاجي خليفة بعض مؤلفاته في أربعة مواضع من كشف الظنون (٢/١١٥ و ٢٣٦ ، ٣/٥٢٧) .

هؤلاء جميعاً أثنوا على ابن الأبار وقدروه قدره الصحيح كواحد من أكبر من أنجبهم الأندلس في ميادين التاريخ والأدب وعلوم الإسلام ، وأنصفوه من قاتله وأجمعوا على أنه قتل مظلوماً ، بل وصفه بعضهم بالشهيد .

وفاقت عناية المحدثين بابن الأبار عناية الأقدمين ، فتبينوا من فضائل كمؤرخ وكاتب أكثر مما تبينه السابقون ، وصاحب الفضل في ذلك دون شك هو المستشرق الهولندي المعروف راينهارد بيتر - آن دوزي ، فقد وقف عنده وقفة طويلة في كتابه الصغير المسمى «مقدمة للبيان المغرب» :

Introduction au Bayan al - Moghrib, Leyde 1848.

وقرر أنه مؤرخ ثبت دقيق جدير بكل ثقة ، وأنه حافظ جمع فأوعى ، وحفل صدره من العلم بالمغرب والأندلس وتاريخ الإسلام عامة ما لم يصل إليه إلا القلائل من علماء القرن السابع الهجري ، وأن أسلوبه الأدبي قوى جميل فيه فحولة ندرت بين أهل عصره .

ثم عاد فأكد هذا الرأي ووفى ابن الأبار حقه من التقدير في تعليقاته على الترجمة اللاتينية للنصوص الخاصة ببني عباد أصحاب إشبيلية :

Scriptorum Arabum Loci de Abbadides, (Lugdoni Batavorum, 1852) II, 46-47.

ونشر تراجم الأندلسيين من الحلة السيرة في كتابه المسمى :

Notices sur quelques Manuscrits Arabes (Leyde, 1847-1851) pp. 29 sqq.

مع مقدمة قصيرة عن ابن الأبار أحال فيها إلى ما كتبه عنه في مؤلفاته الأخرى .

وكان نشر دوزى لهذه القطعة من الحلقة ، بالإضافة إلى ما نشره منها في جامع الكتابات عن بنى عباد منبهاً لأهل العلم إلى قيمة ابن الأبار وأهمية ما كتب ، فأقبل الناس يبحثون عما بقي من آثاره يدرسونها بالعناية الجديرة بها وينشرون ما تيسر لهم منها . وأول من فعل ذلك بعد دوزى ماركوس جوزيف مولر في كتابه المسمى :

Beiträge Zur Geschichte der Westlichen Araber. (München, 1866)
Heft I, 161—192 ; heft II, 193—360.

ووقف مولر بتراجمه عند أحمد بن أبي الأغلب محبلاً بعد ذلك إلى قطعة من « الحلقة » كان قد نشرها أماري في المكتبة الصقلية (ص ٣٣ وما يليها) وواضح أن مولر كان ينوى متابعة نشر تراجم أهل المغرب من « الحلقة » في جزء ثالث من كتابه ، ولكنه لم يفعل ، فبقيت هذه التراجم دون نشر . وكان دوزى قد نشر بضع تراجم أندلسية من « الحلقة » ذيولاً على بعض أبحاثه في كتابه المعروف :

Recherches sur l'histoire et la Littérature de l'Espagne pendant le moyen - âge, 3e éd. Paris, Leyde 1881, Vol. I., appendices X p. XIX ; XX, p. XLVIII ; XXIV, p. LVI — vol. II, appendices II, p. XXVII ; IX, p. XLVI.

وكان الراهب اللبناني ميخائيل الغزيري نزيل إسبانيا وواضع الفهرس الأول للمخطوطات العربية في مكتبة الإسكريال قد نبه إلى أهمية مخطوط « الحلقة السيرة » الموجود بهذه المكتبة ونشر ترجمة لاتينية لقطعة صغيرة منه :

M. CASIRI *Bibliotheca Arabico - Hispana Escorialensis*, Vol. II, p. 163, n. MDCCXXV.

ونشر كذلك قطعة من مخطوط كتاب آخر لابن الأبار هو التكملة :

Ibidem, Vol. II, n. MDCCXXX.

ثم عكف المستشرق الإسباني فرانشيسكو كوديرا على نشر مخطوطين لابن الأبار ، أولهما « المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدي » ، المكتبة الأندلسية رقم ٤ :

Bibliotheca Arabico Hispana; tomus IV, Madrid 1886.

وثانيهما كتاب التكملة لكتاب الصلة :

Bibliotheca Arabico Hispana, t. V—VI, Madrid 1889.

وقد نشر في هذين الجزئين التراجم التي يضمها المخطوطان رقم ١٦٧٥ و١٦٧٨ من مخطوطات مكتبة الإسكريال وهي التراجم من حرف الجيم إلى حرف الميم (عدا بعض الحروف بين العين واللام) . وقد عثر على هذه التراجم الناقصة في مخطوط يحمل رقم ١٧٣٥ في مكتبة الجزائر ، فقام على نشرها م . ألاكرون وأنخل جنتال بالثيا في مدريد سنة ١٩١٥ :

M. ALARCON y C. A. G. PALENCIA : *Apéndice a la edición Codera de la Técmila de Aben al-Abbar en Miscelanea de Estudios y Textos Arabes*, Madrid 1915.

وبقيت الحروف من الألف إلى الثاء ثم من اللام إلى الياء ، فأما الأولى فقد عثر عليها ألفريد بيل ومحمد بن شنب في فاس ونشراها في الجزائر سنة ١٩٢٠ :

IBN AL - ABBAR, *Técmilat as-Sila*. Texte arabe d'après un ms. de Fez. Tome I complétant les deux volumes édités par Codera, Alger 1920.

وعثر محمد بن شنب على قطعة تضم فاتحة التكملة فنشرها في المجلة الإفريقية سنة ١٩١٨ :

M. BEN CHENEB, *L'Introduction d'Ibn al-Abbar à sa Técmila*. Revue Africaine, 1918 p. 300.

وقد قدم كل من كوديرا وألاكرون وجنتال بالثيا وألفريد بيل ومحمد ابن شنب لما نشروا من نصوص لابن الأبار بمقدمات ودراسات ضافية ، نخص منها بالذكر مقدمتي كوديرا للمعجم ولما نشر من التكملة ، فهما دراستان شاملتان عن ابن الأبار وحياته وأعماله وقدره بين من أنجب الأندلس من أعلام .

وعند ما كتب فرديناند فستنفلد كتابه المعروف عن مؤرخي العرب
اختص ابن الأبار بمادة طيبة :

F. WÜSTENFELD, *Die Geschichtschreiber der Araber und ihre Werke*. Göttingen, 1882, p. 129.

وفي الترجمة الإنجليزية التي قام بها بشكوال دجيانجوس للمجلد الأول
من « نفح الطيب » للمقرى (طبعة أوروبا) تعليق طويل عن ابن الأبار
وأعماله :

PASCUAL DE GAYANGOS, *The History of the Mohammedan Dynasties in Spain*, II, 528.

وكتب ميكيلي أماري مادة قصيرة عن ابن الأبار في الجزء الأول من
تاريخ مسلمي صقلية ، ثم نشر قطعة منه خاصة بفتح صقلية في المكتبة
الصقلية (رقم ٥٢) ، وأشار إليه سيمونيت في معجمه :

F. J. SIMONET, *Glosario de voces ibericas y latinas usadas entre los Mozarabes*. Madrid, 1888, CCXXIV.

وعندما كتب البارون فون شاك كتابه البديع عن شعر عرب الأندلس
وصقلية وفهم ، أشاد بابن الأبار وترجم إلى شعر ألماني سينيته المشهورة في
استصراخ أبي زكريا الحفصي لنجدة الأندلس :

ADOLPH FRIEDERICH VON SCHACK : *Poesie und Kunst der Araber in Spanien und Sizilien*. 3 Auflage, Stuttgart, 1871.

وعن شعر فون شاك ترجم نفس القصيدة إلى شعر إسباني خوان فاليرا
عندما ترجم الكتاب كله إلى الإسبانية :

JUAN VALERA, *Poesía y Arte de los Arabes en España y Sicilia*. 3a ed. Sevilla 1881, I, 162.

وأوفى مادة كتبت عن ابن الأبار في غير العربية هي تلك التي كتبها
بونس بويجس في معجمه عن المؤرخين والجغرافيين من أهل الأندلس :

FRANCISCO PONS BOIGUES, *Ensayo bio - bibliográfico sobre los Historiadores y Geógrafos árabe - españoles*. Madrid, 1898, nu. 253 pp. 291 - 296.

ونضيف إلى هذا العرض لما كتب عن ابن الأبار في غير العربية مادني
كارل بروكلمان في تاريخ الأدب العربي، ج ١ / ٤١٦ والملحق ١ / ٥٨٠ (يلاحظ
أنه أخطأ في اسمه فجعله أبا علي بن محمد بن علي بن أبي بكر بن الأبار) ،
ومادة دائرة المعارف الإسلامية في طبعتها الأولى وقد كتبها محمد بن شنب
(٣٧٤ / ب ٣٧٥) ، والفقرة الخاصة به من كتاب تاريخ الفكر الأندلسي
(فقرة رقم ٨٦ ص ٢٧٧ - ٢٨٠ من ترجمتنا العربية) ، ثم المادة القصيرة
التي اختص بها كليمان أوار في كتابه عن تاريخ الأدب العربي (ص ٢٠٤) .

أما المحدثون من العرب ، فأول من نبه منهم إلى مكانة ابن الأبار هو
جرجي زيدان في كتابه القيم عن «تاريخ الأدب العربي» ، فقد اختص ابن الأبار
بمادة قصيرة في الجزء الثالث من ذلك التاريخ (ص ٨٤ من الطبعة الجديدة
بتحقيق الدكتور شوقي ضيف) أشار فيها إلى مكانته كمؤرخ ، وهي على صغرها
مادة طيبة تضع ابن الأبار في مكانه بين مؤرخي الغرب الإسلامي في القرن
السابع الهجري .

ثم تناول ابن الأبار المرحوم الدكتور عبد العزيز عبد المجيد فكتب عنه
كتاباً ضخماً (٣٨٤ صفحة) نال به جائزة مولاى الحسن لسنة ١٩٥١ ،
ونشر الكتاب في نفس العام في تطوان ، وعلى الرغم من أن هذا التأليف كان
أول عهد المؤلف بالدراسات الأندلسية ، إلا أنه عرف كيف يجمع الأصول
اللازمة للكتابة عن ابن الأبار ويفيد منها ، فدرس عصره وشخصيته ومؤلفاته
دراسة طيبة تدل على اجتهاد وصبر ، وقد أفدنا فائدة كبيرة من هذا
الكتاب .

ثم تناول موضوع ابن الأبار الأستاذ ألفريد البستاني فنشر « المقتضب »
الذى صنعه أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم البليقي لكتاب ابن الأبار
المسمى « تحفة القادم » في مجلة المشرق (السنة الحادية والأربعون ، يوليو -
سبتمبر ١٩٤٧) وقدم له بدراسة قصيرة .